سلسلة
معارف إلهية
تكشف عن آخر ما توصلت إليه
أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام

١

خطورة
تاريخ العلم

بقلم
الشيخ كامل بدر الحلفي

سلسلة
معارف إلهيَّة
تكشف عن آخر ما توصَّلت إليه
أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام
(١)

خطورة
تأريخ العلم

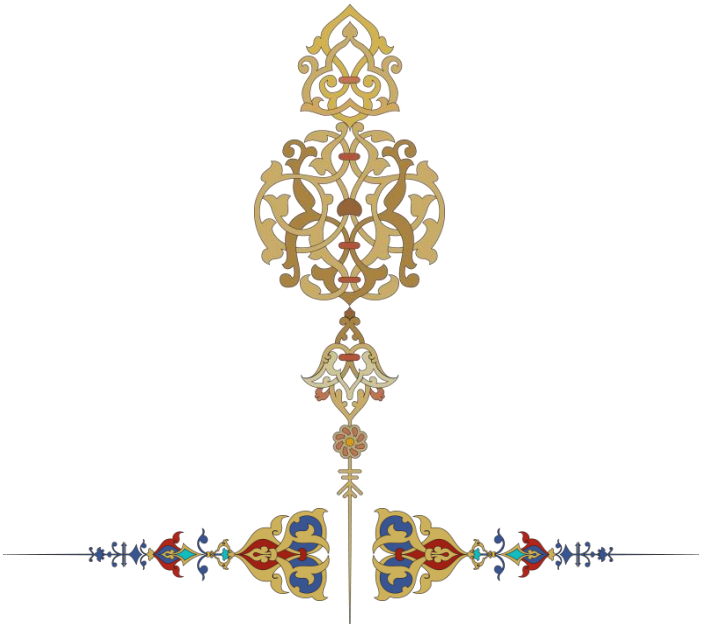

خُطُوْرَة
تَأرِيْخ الْعِلْم

بقلم

الشَّيخ كامِل بَدِر الْحِلْفِيّ

أسم الكتاب /

خطورة تأريخ العلم

محفوظة جميع الحقوق

بقلم /

الشيخ كامل بدر الحلفي

النجف الأشرف

سنة الطبع /

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦ م

الطبعة / الأولى

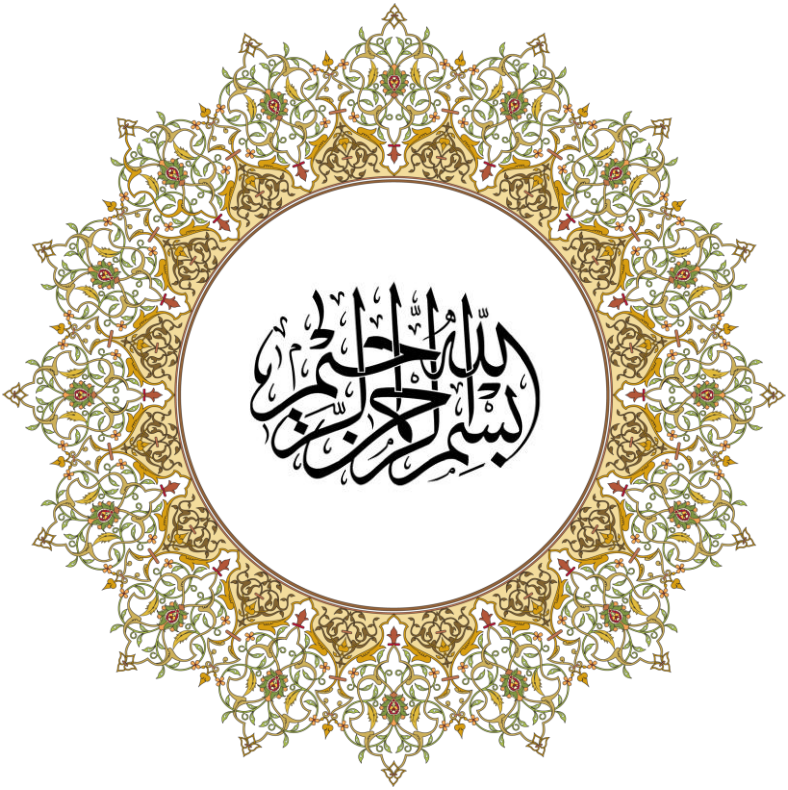
بسم الله الرحمن الرحيم

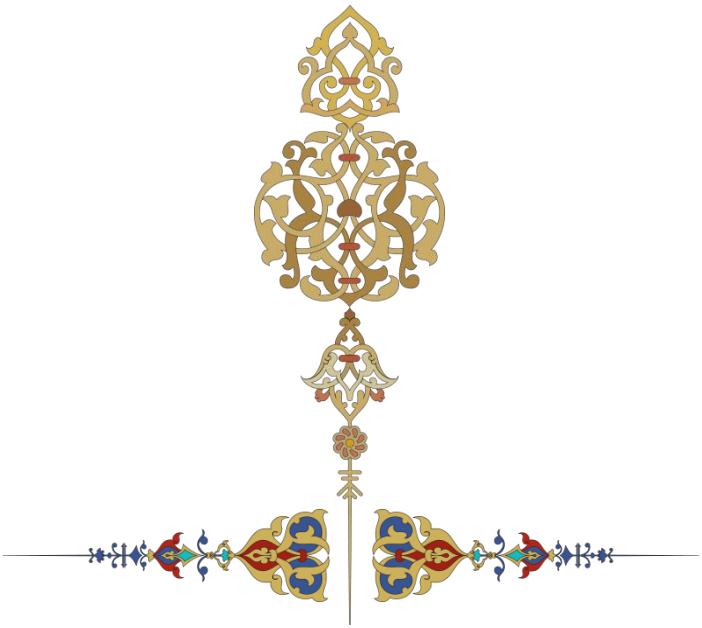

الْمُقَدَّمَة

الحمدُ لِلّٰـه الَّذي لم يُولَد فيكون في العزِّ مُشَارَكاً ، ولم يَلِد فيكون مورُوثاً هالكاً ، ولم تقع عليه الأَوهام فتقدِّره شبحاً ماثلاً ، ولم تدركه الأَبصار فيكون بعد انتقالها حائلاً. والصَّلاة والسَّلام عَلَىٰ مُحَمَّدٍ الَّذي شرفت الأَماكن بذكره ، وعطرت المساكن برباء نشره ، وعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهرين المعصومين. واللَّعنة الدَّائمة أَبد الآباد ودهر الدُّهور عَلَىٰ أَعدائهم وشانِئيهم وظالميهم ومتابعيهم ، وغاصبي حقوقهم ، ومنكري فضائلهم ومناقبهم ، ومناوئي

شيعتهم من الأَوَّلين والآخرين.

وبعد : هذا هو الإِصدار الأَوَّل الَّذي مَنَّ الله تعالىٰ علينا أَنْ وَفَّقنا لإِصداره ضمن هذه السلسلة ، وهي سلسلة المعارف والعقائد المُستفادة من بيانات الوحي القطعيَّة بالقطع العقليّ ، بل والوحياني ، والمُستفاد جملة من بحوثها من الأَبحاث العلميَّة والمعرفيَّة والعقائديَّة والعقليَّة الحديثة الدَّائرة في أَروقة حوزة النَّجف الأَشرف ، وبعضها الآخر جهود وتحقيقات خاصَّة ، والَّتي تحمل جملة هذه الأَبحاث والتَّحقيقات في طيَّاتها آخر ما توصَّلَت إِليه أَتباع مدرسة أَهل البيت عليهم السلام في جامعة العلم الكُبرىٰ (حوزة النَّجف الأَشرف) ، وكُلُّ ذلك إِداءً لواجب الدِّين والشَّريعة ، وقياماً بفروض الخدمة للحنيفيَّة البيضاء ، وإِحياءً لِـمَا قد اِنْدَرَسَ من معالم الدِّين والإِيمان ، وانْطَمَسَ تحت أَطباق البَلَىٰ ، وإِعلاءً لكلمة الحقِّ ؛ كلمة العدل والصِّدق ، ونشراً لأَلوية معارف الإِسلام المُقَدَّس والإِيمان الأَقدس ، وذبّاً عن مدرسة الحقيقة ؛ مدرسة أَهل البيت (صَلَوات اللّـه عليهم). وهذا الإِصدار يتعرَّض لـ : (خطورة تاريخ العِلْم).

ومنه سبحانه وتعالىٰ أَسأل التَّوفيق لي ولأُخوتي المؤمنين ، وصلَّىٰ اللّٰـه عَلَىٰ سيِّد رسله مُحَمَّدٍ وسائر أَهل البيت الأَطهار.

من جوار مرقد أَمير المؤمنين عليه السلام

الشَّيخ كامل بدر الحلفيّ

السبت/ ٢٣ رجب/ ١٤٤٧هـ.

خطورة (تأريخ العلم)

بات (تأريخ العلم)[1] في العصر الرَّاهن أَحَد البُحوث المنطقيَّة، وبحوث نظريَّة المعرفة ، وبحوث علم الكلام الحديث الهامَّة ، وهو: بحث مُهِمٌّ وحَسَّاسٌ جِدّاً ؛ يُوْلِي للباحث ويُعطيه بصيرةً وَسِعَة أُفق ثاقبة جِدّاً ؛ وبلوغاً ونضوجاً فكريّاً يُعَرِّفه مِنْ أَيْن تُؤْكَلُ الكتف ، فهو القَلْب النَّابض ؛ لأَنَّه يوقف الباحث على جملة أُمورٍ مهمَّة ، منها:

---

(١) تأريخ العلم أَمر ممزوج بين التَّأْريخ والعلم ، فليس هو تأْريخ محض ، ولا علم محض ، وإِنَّما أَمر بين أَمرين.

١ـ مصادر الْعِلم.

٢ـ وزن المدارس العلميَّة.

٣ـ تقييم النَّظَرِيَّات والآراء والمسائل العلميَّة.

٤ـ كيفيَّة بدأ النَّظريَّات والمدارس والمصادر والأَقوال.

٥ـ كيفيَّة بناء معادلات وقواعد ومسائل العلم.

٦ـ كيفيَّة إِختلاف مسارات العلم.

٧ـ كيفيَّة تَطَوُّر العلم من مرحلة لأُخرىٰ ، وما هي الحالات والظَّواهر الَّتي قادت العلم إِلى ذلك المسير.

ومِنْ ثَمَّ يُعتبر ـ تأريخ العلم ـ ميزاناً منطقيّاً ومعرفيّاً في العصر الرَّاهن ؛ لتقييم: (العلوم) ، و(النَّظريَّات) ، و(الآراء) ، و(المسائل العلميَّة).

وعليه: فإِذا لم يُولِ الباحث (بحث: تاريخ العلم) أَهميَّة ؛ فإِنَّه وإِنْ كان فحلاً في مجالٍ وعلمٍ مُعَيَّنٍ ، لكنَّ ذلك سَيُسَبِّب له: غفلةً واغتراراً بجملة أُمورٍ غير سديدةٍ.

وهذا ما يوضِّح: نكتة تركيز المُغرضين ـ منهم: الغربيين والمُستشرقين ـ كثيراً في العصر الرَّاهن على (تاريخ العلم) ؛ وذلك لتغرير كثير من شباب المسلمين ومُثَقَّفِيهم ، فصار (تاريخ العلم): مبحثاً عقائديّاً ، ومجابهةً عقائديَّةً ، وسلاحاً فتَّاكاً بيد الْعَدو والصَّديق.

بعد الِالتفات: أَنَّ مبحث: (تأريخ مُعتقد مُعَيَّن) ، و(تأريخ القرآن الكريم) ، وتأريخ: (تأْويله) ، و(نزوله) ، و(تأريخ المرجعيَّة وبداياتها) كلّ ذلك وغيره راجع إِلى مبحث: (تأريخ العلم) ؛ فيكون الدَّجَل في هذا العلم شاسعاً وواسعاً جدّاً.

وعليه: فيجب على الباحث في هذا العلم: أَنْ لا يصغي إِلى كلِّ ناعقٍ ، فكما أَنَّ تأْريخ الإِسلام والمسلمين[1] كُتِبَ بأَيدي مَنْ هَزَّته دعارة

---

(١) **ينبغي الِالتفات** في المقام إِلى الأُمور الأَربعة التَّالية:

الأَوَّل: أَنَّ التَّأريخ لغة من ضمن لغات المعارف الإِلهيَّة الَّتي استعرضتها بيانات الوحي وَأَكَّدت عليها.

فانظر: بيانات الوحي المُشيرة لذلك ، منها:

←

١ـ بيان قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

٢ـ بيان قوله تبارك اسمه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

الثَّاني: ذهب الحداثويُّون والألَسنيُّون إلى أَنَّه ينبغي أَنْ لا تُعطىٰ قداسة للماضي.

والجواب: أَنَّ الماضي يعني: إنجازات ومخزون طبيعي تكويني يُستثمر للحاضر والمُستقبل بآليَّات حديثة ، ومن ثَمَّ مَنْ يذهب للحاضر والمُستقبل من دون هويَّة ماضويَّة فلن يتمكَّن من استثمار الحاضر ولا المُستقبل.

الثَّالث: أَنَّ القراءة العصريَّة الرَّاهنة للأَحداث التَّأريخيَّة ، وفرض وقوعها في العصر الرَّاهن ضابطة مُهمَّة لقراءة الأَحداث التأريخيَّة.

الرَّابع: غُيِّبت عن البشريَّة في كُتُب التأريخ كم غفير من الحقائق الصَّارخة في زمانها. وَمَنْ أَراد تعقُّل هذه القضيَّة فليُلاحظ ما يجري من أَحداث معاصرة وَأَمام أَعيننا في يومنا هذا ، فهناك أَحداث عظيمة وحساسة ومُهمَّة وخطيرة نراها بأُمِّ أَعيننا كيف تُزيَّف بكُلِّ جرءةٍ و صلافةٍ ؛

التَّعَصُّب ، وبعثه داعي العناد ، وبِأَقلام مأْجورة ، وأَيادٍ سقيفيَّة وأُمَويَّة وعبَّاسيَّة خبيثة ، وبتوجيهات سلطة مسيطرة على أَوضاع الإِسلام

← فتُعكس الحقائق والواقعيَّات الصَّارخة وتُقلب عن وجهتها الحقيقيَّة من خلال تركيز عدسات وكالات الأَنباء والفضائيَّات على لقطةٍ واقعيَّةٍ ، لكنَّها مبتورة ومُوهمة ضمن مسلسل أَحداث الواقعة والحدث ، ويهملون بقيَّة اللقطات ، بحيث تؤدِّي هذه اللقطة المأخوذة والمبتورة إِلى أَخذ الوهم والخيال بعيداً عن حقيقة الواقعة المبتورة.

وعليه: قس كتابة التأريخ ، ومن ثَمَّ أَكثر ما يُعشعش في أَذهاننا عن الأَحداث التأريخيَّة والمعاصرة زيف وباطل. ونادر مَنْ يلمّ بالحقيقة ؛ لأَنَّ تجميع كافَّة اللقطات الحاكية عن الحقيقة والواقعة أَمر صعب جِدّاً ؛ لابتلاء أَكثرها بالتَّزييف ومن باب رُبَّ مشهور لا أَصل له.

مثاله: معركة أُحد والفتوحات الإِسلاميَّة ، وسيأتي (إِنْ شاء الله تعالىٰ) بيان ذلك.

ومنه تتَّضح: (الحرب النَّفسيَّة) ؛ فإِنَّ الثابت في مراكز البحوث الاستراتيجية: أَنَّ للحرب أَنواعاً ، منها: الحرب الإِعلاميَّة ، والحرب العسكريَّة ، والحرب الاقتصاديَّة ، والحرب النَّفسيَّة ، وهي الأَهمُّ ؛ فإِنَّ (٨٠٪) من الحروب حروب نفسيَّة ، وحقيقتها مبنيَّة على الزَّيف والخداع والتَّحايل وتضليل إِعلامي وَإِثارات مشاعر وفتن.

والمسلمين ومُقَدَّراتهم ، وكَتَبَـها أُنَاس مضطربو الدِّين ، ضعيفو اليقين ؛ لم تَثْبُت في الحقِّ قدمهم ، ولا استمرَّت عليه سريرتهم ، فأَوهنُ شُبْهَة تُعرض عليهم ينقادون معها ، ويفارقون دينهم لها ، كالقائم على طرف مهواة ؛ فأَدنىٰ معارض يزلفه ، وأَضعف دافع يطرحه ، فلا تعجبكَ طنطنتهم ، فإِنَّها أَقرب إِلى طنطنة القصَّاصين ، كذلك تأريخ العلم.

لكنْ: هناك الكثير من الباحثين من أَتباع الفرقة الـمُحِقَّة يعكفون على نصوصٍ تأريخيَّة سجَّلتها أَيدي الأَهواء من المخالفين ، وحَرَّرَتها أَقلام العناد ، فجاءت خرقاء شوهاء ؛ لا يتفوَّه بها مَنْ له إِلمام بالسِّيَر والتَّأْريخ ، ولا ينطق بها مَنْ له ذوق بالعربيَّة والحديث ، يتعاملون[1] معها معاملة الحقّ الصراح ، والماء القراح ، والعين السَّلسبيل ، لكن عن قليل سينجلي لهم القسطل ، ويجنون ثمر فعلهم مُرّاً علقماً ، ويحصدون غرس أَيديهم ذعافاً مـمقَّراً ، فذاك سعيد بن عبدالله الأَشعري والنُّوبختي يكتبان عن الفرق الشِّيعِيَّة ، لكنَّهما يأخذان نصوصاً تأريخيَّة عن الْفِرَقِ الشِّيعيَّة من الطَّرَف الْمُخالف

(١) مرجع الضمير: (الكثير من الباحثين من أَتْباع الفرقة الـمَحِقَّة).

كالطَّبريّ. بل وكذا عليّ بن إبراهيم القُمِّيّ ؛ فإنَّ تفسيره وإنْ كان عظيماً ؛ وكان صاحبه ﷺ يعيش في قمٍّ عشٍّ آل مُحَمَّد[1] ، لكنَّه يأْخذُ من المخالفين مواردَ وأُموراً خُلِطَ فيها الحابل بالنَّابل ، وتُوُهِّم الظِّل بالحرور ، ويعاملها من دون أَسانيد معاملة المُسَلَّمات ، مع أَنَّها حُجَج واهية ، وكلام فارغ ، ومزاعم على غير أَصلٍ فَنِّيٍّ أَو قاعدةٍ صِنَاعِيَّةٍ ، بل مزاعم تُفَنِّدُها بيانات الوحي الإِلٰهيّ الشَّريف الَّتي لَمْ تَصَل يده إِليها.

بعد الإِلْتِفَات: أَنَّ المخالفين لم يعوا أَبْدَه مُبدَّهات المعارف الإِلٰهيَّة العالية ، فراجع أَحوالهم وما خَطَّتْهُ أَقلامهم ترىٰ من شطط كلامهم وشطح مقالاتهم العجب العجاب.

فَهَلُمَّ معي لنكشف نقاب بعض ما هاجت به أَقلامهم في

---

(١) سُمِّيَت (قم) بأَنَّها: عش آل مُحَمَّد ، وذلك لكونها معسكر مصون خلفي ، بخلاف الكوفة ؛ فإِنَّها معسكر أَمامي ومُتَقَدِّم وفي الواجهة والمواجهة ، والَّتي كانت ولا زالت قائمة على قدم وساق.

إِذَنْ: قم عش خلفي صغير بالقياس إلى الكوفة ، ومع كلّ هذا وصلت سموم المخالفين إِلى ذلك الوسط العلميّ في ذلك الزَّمان.

حُجِّيَّة مريم ابنت عمران ، وموقعيَّتها في بيانات الوحي ، فمع أَنَّ ستارها قد كشفته بيانات سورٍ قرآنيَّةٍ عِدَّة ، وآياتٍ عديدةٍ ، وروايات كثيرة ، لكنَّهم في حيصٍ وبيصٍ منها ، ولَيست لديهم أَيَّة وعاية وَفَهم ومعرفة بها ، فلذا ذهب بعضهم كالقرطبيّ إِلى نبوَّتها.

فلاحظ: نَصَّ عبارته ـ في تفسير بيان قوله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾[1] ـ: «فقد قيل: إِنَّ الكمال المذكور في الحديث ـ أَي: ما رواه عن رسول الله ﷺ: «... **ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية أَمرأَة فرعون** » ـ يعني به: (النُّبُوَّة) ؛ فيلزم عليه أَنْ تكون مريم عليها السلام وآسية نَبِيَّتَين ، وقد قيل بذلك ، والصَّحيح: أَنَّ مريم نبيَّة ؛ لأَنَّ الله تعالىٰ أَوحىٰ إِليها بواسطة المَلَك كما أَوحىٰ إِلى سائر النَّبِيِّين ... وأَمَّا آسية فلم يَرِدْ ما يدلُّ على نُبُوَّتها دلالة واضحة ...»[2].

---

(١) آل عمران: ٤٢.

(٢) الجامع لأَحكام القرآن ، ٤: ٨٢ .

وهذا كما ترىٰ خرق أَتَّسَعَ على الرَّاقع ، فبانَ الصُّبح لِذي عينين بمخالفته لبيانات الوحي الباهرة الوافرة ، المُفسِّرة والمُوضِّحَة لموقعيَّتها وحُجِّيَّتها ، ونقول له مُتَمَثِّلين: « أَينَ ضَلَّت مطيَّتكَ يا حسَّان ».

وعليه: فكيف تُؤخذ المعارف الإِلٰهيَّة ، ومسار التَّشَيُّع ، ومعنىٰ الْفِرَق الشِّيْعِيَّة من قومٍ أَصَرُّوا على أُمورٍ مخالفةٍ لِـمَا أَنجبته بيانات الوحي الإِلٰهيّ الشَّريف وطاهر كلماته ، فَضَلُّوا عن النَّهج الواضح ، وركبوا بنيَّات الطَّريق ضلالاً وانعدام معرفة ، فعميت بصائرهم ، وتاهت أَفكارهم ، وسفهت أَحلامهم رصداً راصداً ، بل ثمر ما يؤخذ منهم مُرّاً ذعافاً مُـمَقَّراً ، وسمّاً قاتلاً ، بعدما لم تكن لديهم ثقافة وحيانيَّة ، ولم يعوا المعارف الرَّبانيَّة الوحيانيَّة ، فينبغي لِـمَّنْ تَوَرَّطَ بهذا الأَخذ أَنْ يأكل كفِّه أَلَـماً وحسرةً وندماً ، ويفرُّ منه كفراره من الأَسد.

وهذا ما نبَّهَت عليه بيانات نابها الأَكبر ، وسنامها الأَطول ، وهامها الأَعظم ، بيانات أَهل البيت الأَطهار عليهم السلام مصَّاص الشَّرف ومعدنه ، منها:

١ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «**لا والله ما هُمْ على شيء ممَّا جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا استقبال الكعبة فقط**»[1].

٢ـ بيانه عليه السلام أَيضاً، مخاطباً المُفضَّل: « ... **يا مُفَضَّل، الخلق حيارىٰ عمون، سكارىٰ في طغيانهم يتردَّدُون، وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون، بصراء عُمِي لا يبصرون، نطقاء بكم لا يعقلون، سمعاء صُم لا يسمعون، رضوا بالدون، وحسبوا أَنَّهم مهتدون، حادوا عن مدرجة الأَكياس، ورتعوا في مرعىٰ الأَرجاس الأَنجاس، كأَنَّهم من مفاجأة الموت آمنون، وعن المجازات مزحزحون، يا ويلهم ما أَشقاهم وأَطول عناءهم، وأَشَدُّ بلاءهم يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم يُنصرون إلَّا مَنْ رَحِمَ الله.** قال المفضل: فبكيت لَـمَّا سمعتُ منه، فقال: **لا تبكِ تخلَّصتَ إِذْ قبلتَ، ونجوتَ إِذْ عرفتَ... الحمد للَّه الَّذي اصطفانا ولم يصطف علينا، اصطفانا بعلمه، وَأَيَّدنا بحلمه، مَنْ شَذَّ عَنَّا فالنَّار مأواه، وَمَنْ تَفَيَّأَ**

---

(١) بحار الأَنوار، ٦٥: ٩١/ح٢٦. المحاسن: ١٥٦٠.

بظلِّ دوحتنا فالـجنَّة مثواه ... »[1].

فهل يبقىٰ بعد هذا البيان الباهر وسابقه الطَّاهر ميدان للتَّجَوُّل، والأَخذ[2] مِـمَّن لا يعمل بأَثر نبي ولا يقتدي بعمل وصيٍّ ، ويعمل بالشُّبهات ويسير في الشَّهوات ، كلَّا وحاشا ، إِلَّا مَنْ دفعه عامل الغباوة ، وأَثَّر عليه سوء الفهم.

وهذا الأَمر هو الَّذي دعا سَيِّد الأَنبياء صلى الله عليه وآله إِلى التَّخَوُّف من بعثته لتلك البيئة ، ولم يُبعث إلى اليهود والنَّصارىٰ ، مع أَنَّه أَعظم نبيّ لهٰكذا بيئة ، لكنَّه لَـمَّا لم يكن لدىٰ أَصحاب تلك البيئة ثقافة وعلم بأُمور الوحي والنُّبُوَّات تَمَنَّىٰ صلى الله عليه وآله أَنَّه لو بُعِثَ لغيرهم كاليهود والنصارىٰ.

وعليه: فَمِن المقرف استناد مَنْ يدَّعي إِتِّباعه لمدرسة أَهل البيت عليهم السلام لفكر أُولٰئك في مباحث المعارف والعقائد وغيرها ، لا

---

(١) بحار الأَنوار ، ٣: ٩٠/ الخبر المُشتهر بـ: (توحيد المُفَضَّل بن عمر).

(٢) هذا عطف على كلمة: (لتَّجوُّل) ، فتكون العبارة كالتَّالي: (وميدان للأَخذ...).

سيما بحث: (التَّوحيد) ، و(النُّبُوَّة) ، و(الإِمامة).

وعصارة القول: أَنَّـه ينبغي للباحث التَّـثَبُّت من الـمصادر الَّتي يتعامل معها ، والَّتي يُـراد مـنها رسـم: (تأريخ) ، أَو (عِلم) ، أَو (نظريَّة) ، أَو (مقولة) ، أَو (رأي مُعَيَّن) ؛ فوثاقة لسان الرَّاوي أَو صاحب المصدر لا تكفي ولا تكون بِمُجرَّدِها مُسَوِّغاً لِلإِستناد ، بل لابُدَّ أَنْ يُضاف إِليها: كونه صاحب باعٍ علميٍّ يؤهله لضبط ما يرسمه عن هويَّة وحقيقة: تأريخ أَو علم أَو نظريَّة أَو مقولة أَو رأي مُعَيَّن ، فلو كان النَّاقل لقضيَّةٍ في علم الرِّجَال ـ مثلاً ـ صادق اللَّهجة، لكنَّه ليس له باعٌ في علم الكلام[1] فلا يكون صادقاً في الفهم والتَّعَقُّل. فالتفت تربت يداك.

وهذه المُؤاخذة تُسَجَّل على الكشي والنَّجاشي ؛ فإِنَّهما وإِنْ كان

---

(١) **يجدر الإِلتفات**: أَنَّ كثير من بحوث الفقه وأُصوله والتَّفسير وعلم الرِّجال وغيرها من العلوم والبحوث الدِّينيَّة والشَّرعيَّة مبتنية على البحوث الكلاميَّة ، ومن ثَمَّ مَنْ يحصل له ضعف في البحوث الكلاميَّة فلابُدَّ أَنْ ينعكس ذلك الضعف على تلك العلوم والأَبحاث ؛ ويحصل له تلقائيًّاً ضعف فيها.

لهما باعٌ في علم الـرِّجَال والأَنساب وتأريخ العرب ، لكن ليس لـهمـا تَبَحُّرٌ في علـم: (الفقه) ، و(الكلام) ، و(الحديث) ، و(التَّفسير) ، و(أُصول الفقه) ، و(الملل والنحل) ، وحينئذٍ لا تكون كثير من النَّتائج الَّتي توصَّلا إِليها في علم الرِّجَال سديدة.

ولا تُسَجَّل ـ هذه المؤاخذة ـ على الشَّيخ الطُّوسيّ وأُستاذه المفيد، فإِنَّهما كـانـا مُلِمِّين بعلوم جَـمَّـة ، منها: (الفـقـه) ، و(الكلام)، و(الحديث) ، و(التَّفسير) ، و(أُصول الفقه) ، و(الملل والنحل) وغيرها ، بل كانا صاحبي فُتْيا واجتهاد ، وهذا ما دعاهما إِلى عدم متابعة أَراء مشايخهما في الجرح والتَّعديل ، وأَعملا اجتهادهما فيهما[1] وفي غيرهما ، خلافاً للكشي والنَّجاشي.

وَمِنْ ثَمَّ بات واضحاً في علم الدراية والحديث: أَنَّ فهم السَّامع وعلمه مُؤثِّرٌ في ضبط سمعه ، فكُلَّما ازداد علم الإِنسان كلَّما ازداد وقوي ضبطه السَّمعي.

ومعناه: اِعْتِمَاد الصِّدق في النَّقل على السَّمع والفهم معاً ، دون

---

(١) مرجع الضَّمير في: (فيهما) ، و(غيرهما): (الجرح والتَّعديل).

السَّمع فحسب ، فالسَّمع آلة ، وتفعيلها بشكل تامٍّ فيما إِذا كان العقل مُفَعَّلاً أَيضاً ، وإِلَّا شابه نقل الطفل ؛ فإِنَّ عينه وأُذنه الشَّحميَّتين مُفَعَّلَتَان ، لكنَّ عقله لَـمَّا لم يكن مُفَعَّلاً كان نقله من غير تركيزٍ ، فيكون عرضة لعدم الصِّدق غالباً وإِنْ كان غرضه الصِّدق.

وهذا بخلاف صاحب الخبرة ؛ فالخبير العسكري ـ مثلاً ـ حينما يُطالع منطقة عسكريَّة ، يلتفت إِلى زوايا ويُدقِّق فيها ، ويفهم أُموراً ، وينتبه إِليها ، ويُنَبِّه عليها ؛ لا يُدّقِّق فيها ، ولا يفهمها ، ولا ينتبه إِليها، ولا يُنَبِّه عليها غيره ، ومِنْ ثَمَّ بات في علم الحديث: أَنَّ الرَّاوي الفقيه أَضبط وأَصدق وأَعدل فيما يرويه غيره ؛ فإِنَّ غيره[1] وإِنْ كان مُقَدَّساً ظاهراً[2] ، لكنَّه فاسق وكاذب واقعاً من حيث لا يَشْعُر ؛ لأَنَّه لا

---

(١) مرجع ضمير (غيره): الرَّاوي إِنْ لم يكن فقيهاً.

(٢) لا بأس بالِالتفات: أَنَّ كثيراً من المُقدَّسين يترك احتياطاً بعض الأُمور خوفاً من بعض المحاذير ، لكنَّه قد يوقعه هذا الإِحتياط في محاذير أَشَدُّ خطورة.

والطَّريق السوي هو الجادَّة الوسطىٰ (أَمر بين أَمرين) ؛ صِراط أَهل البيت صلوات اللّـه عليهم.

يعكس الحقيقة والواقعيَّة ؛ مع أَنَّه يَدَّعِي كشفه لتمامها[١].

وإِلى هذا تُشير بيانات الوحي ، منها:

١ـ إِطلاق بيان سَيِّد الأَنبياء ﷺ: «... **ومن العلم جهلاً** ...»[٢].

ودلالته واضحة ؛ فإِنَّه بإِطلاقه يشمل كلَّ مَنْ تَوَصَّلَ إِلى نتيجةٍ يقطع بعلميَّتها ومطابقتها للواقع ، لكنَّه إِذا لم يكن عالماً ، أَو كان عالماً لكنَّه لم يكن من أَهل الخبرة ، أَو كان من أَهل الخبرة لكنَّه اعتمد على عقله ولم يعضده ببيانات الوحي[٣] ؛ فجميع ذلك في عرضة الجهل

---

(١) مرجع الضَّمير: (الحقيقة) و(الواقعيَّة).

(٢) بحار الأَنوار ، ١: ٢١٨/ح٣٩.

(٣) **ينبغي الإِلتفات** في المقام إِلى القضايا التَّالية:

الأُولىٰ: أَنَّ مَنْ يَنْأَىٰ بنفسه من علماء البشر ـ كالفلاسفة والمُتكلِّمين والعرفاء ـ عن تعاليم بيانات الوحي فقد ارتطم في أَخطر اشتباه ، ومن ثَمَّ حَكَم الفلاسفة والمُتكلِّمون والعرفاء ؛ نتيجة ابتعادهم عن تعاليم بيانات الوحي على بعض المخلوقات الإِلٰهيَّة الجسمانيَّة بـ: (التَّجَرُّد التَّام) ، كالملائكة والعقل ، والحال أَنَّ الثَّابت في صريح بيانات الوحي: أَنَّ ←

للملائكة أَجساماً وأَجنحة وحركةً ، وكذا العقل ، فقد أَطبقت كلمة جلّ الفلاسفة والمُتكلِّمين والعرفاء على تجرُّده تجرُّداً تامّاً عن الجسميَّة والجسم ، والحال أَنَّ الثَّابت في بيانات الوحي ، كبيان الإِمام الصَّادق عليه السلام في حديث جنود العقل والجهل: أَنَّه روح ، فلاحظ: بيانه عليه السلام: «... **إِنَّ اللّـه عزّ وجلّ خلق العقل وهو أَوَّلُ خَلْقٍ مِن الرُّوحَانِيِّينَ عن يمين العرش من نُورِهِ ، فقال له: أَدْبِرْ فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قال له: أَقْبِل فَأَقْبَلَ...**» ـ أُصول الكافي ، ١: ١٧/ ح١٤ـ ، والرُّوح كما هو الثَّابت أَيضاً في بيانات الوحي ، كبيانه عليه السلام أَيضاً: أَنَّها جسم من الأَجسام اللَّطيفة ، فانظر: بيانه صلوات اللّـه عليه في أَجوبته على مسائل الزنديق: «... **والرُّوح جسم رقيق ، قد أُلبس قالباً كثيفاً** ...». بحار الأَنوار ، ٦: ٢١٦/ ح٨. الاحتجاج ، ٢: ٩٦.

والحقُّ: أَنَّ هذه المخلوقات وما شاكلها مخلوقات جسمانيَّة ، لكنَّها مُجرَّدة تجرُّداً نسبيّاً عن غلظة ومادَّة ما تحتها من الأَجسام ، فهي أَجسامٌ ، لكنَّها أَلطف بالقياس إِلى ما تحتها والأَكثر غلظة.

بعد الإِلتفات: أَنَّ مراتب الجسميَّة ونسبيَّتها لا حصر لها.

ثُمَّ إِنَّه لو أَراد الباحث ، بل لو كان شغله الشَّاغل معرفيّاً بمعرفة عوالم الخلقة ؛ وجملة خارطة منظومتها المتناسقة الواردة في لسان بيانات الوحي والَّتي لا تعلم بها أَصحاب الآخرة الأَبديَّة ـ أَهل الجنَّة والنَّار الأَبديَّتان ـ لعثر على عوالم رهيبة أَخطر من دون قياس من عَالَمَ البرزخ وعَالَمَ القيامة

→ وعَالَمَ الآخرة الأَبديَّة ، ولعثر على معارف مَهِيْبَة وخطيرة جِدّاً لا يمكن حصرها وإِحصاؤها.

القضيَّة الثَّانية: إِنَّ أَعظم ظلم جرىٰ على البشريَّة لا يَكمُن في إِقصاء أَهل البيت عليهم السلام عن الحُكم ودورهم السياسي ؛ وإِقامتهم للعدل الإِلٰهيّ بين بني البشر ـ سوآء أَكان عدلًا اقتصاديّاً أَو تجاريّاً أَو أَمنيّاً أَو مجتمعيّاً أَو غيرها ـ بل في إِبعادهم عن أَنْ يكونوا مُعلِّمين وهداة ومربِّين ومزكِّين إِلٰهيِّين للبشريَّة جمعاء.

بعد الإِلتفات: أَنَّ المخلوق يصبح حيوان وبهيمة ، بل أَضلّ سبيلاً من دون نور العلم ، فأَعظم شيء في كمال المخلوق تنمية روحه وعقله وقلبه ونوره.

فانظر: بيانات الوحي ، منها:

بيان الإِمام الصَّادق عليه السلام: «النَّاس إِثنان: عَالِم ، ومُتَعَلِّم ، وسائر النَّاس هَمَج ، والهَمَج في النَّار». بحار الأَنوار ، ١ : ١٨٧/ ح٣.

والمراد: من (سائر النَّاس): باقي النَّاس ، باتِّفاق أَهل اللُّغة ، كما في اللِّسان.

والمراد: من (الهَمَج) ـ بالتَّحريك ـ جمع هَمجَة ، وهي: ذباب صغير كالبعُّوض يسقط على وجوه الغنم والحمير وأَعينها. ذكره الجوهري. ←

وبالجملة: مقام سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت صلوات اللّٰـه عليهم في كونهم مُعلِّمين وهداة ومربِّين ومُزكِّين إِلٰهيِّين أَعظم من مقام الولاية السياسيَّة ، ومقام القيادة والقدرات الماليَّة والعسكرية.

ويجدر الإِلتفات: أَنَّ (المظلوميَّة) في منهاج الوحي الإِلٰهي ليس معناها: (استضعاف الإِنسان لنفسه ، وانكفاءه وانكساره وتخاذله) ـ كما عليه منهج النصرانيَّة المُنحرفة ، وما تُروِّج إِليه الثقافة الغربيَّة تحت عنوان: (التَّسامح والتَّساهل) ؛ لضعضعة الشُّعوب المحرومة ـ بل معناه: الإِيعاز للمظلوم أَنْ يكون عفوّاً وغفوراً ، وأَنْ لا يستوفي من الظالم ـ إِنْ تمكَّن منه ـ أَكثر من حقِّه.

وهذا المعنىٰ ظهر جليّاً في تعامل أَهل البيت ـ سيِّد الأَنبياء وسائر أَهل البيت ـ صلوات اللّٰـه عليهم مع مَنْ ظلمهم بعد التمكُّن منه ، والنصوص الوحيانيَّة والتَّأريخيَّة مشحونة بتلك السيرة فاطرقها تسمع الجواب واضحاً وجليّاً.

القضيَّة الثَّالثة: ليس المراد من قاعدة التَّعَبُّديَّة والتَّوفيقيَّة والتَّوفيتيَّة الواردة في بيانات الوحي تحجير وحبس للعقول والأَفكار ـ كما ظنَّه الفلاسفة ، بل والعرفاء كنظرة إِجمالية ـ ، وإِنَّما المُراد ترشيد لسير وفكر البشر لِخُطَىٰ غير متناهية في التَّكامل ، ومن ثَمَّ مدحت بيانات الوحي وحثَّت على التَّعقُّل والتَّفكُّر وطلب العلم ، وذمَّت الجهل والشَّكّ والرِّيبة والتَّردُّد ؛ لكونها توقف حركة الفكر وسيره.

القضيَّة الرَّابعة: أَنَّ كثير من القواعد العقليَّة الَّتي لا يمكن لعقول البشريَّة الوصول إِليها وشَمّ رائحتها موجودة في بيانات الوحي.

القضيَّة الخامسة: ينبغي أَنْ لا يُظن أَنَّ قاعدة من القواعد المعرفيَّة التَّوحيديَّة الوحيانيَّة مُختصَّة بمقام فارد ، بل تجري في مقامات ومنازل متعدِّدة.

القضيَّة السَّادسة: أَنَّ كُلّ كلمة يقولها المعصوم عليه السلام يُستخرج منها قواعد وفوائد إِلى ما شاء الله.

القضيَّة السَّابعة: أَنَّ كثير من أَسرار المعارف تذكر في بيانات الوحي بالكناية والتَّعريض وهو أَبلغ من التَّصريح.

القضيَّة الثامنة: كلّما تقدَّمت المسيرة العلميَّة والعلوم كلَّما التفتت البشرية إِلى حقائق وأُمور خطيرة ومهولة مذكورة في بيانات الوحي الإِلٰهي الشَّريف ؛ كان البشر يتلقَّاها ويتعامل معها ويطعنها بعقله القاصر والمحدود والمتناهي بتناهي عَالَمَ العقل بـ: الإِستهزاء والسُّخرية ، والرمي بـ: المناكير ، وما لا يتعقَّل صدورها ، وأَنَّه كلام عجوز مُخرِّفة ، وما لا يمكن صدورها من أَصاغر الطلبة فضلاً عن فاضل وما شاكله ، ومن ثَمَّ يُحاول بكُلِّ ما أُوتي من صنعةٍ وقوَّةٍ ومهارةٍ علميَّةٍ إِسقاط حُجِّيَّتها واعتبار سندها ، وإِلَّا ـ أَي: إِذا لم يتمكَّن من ذلك كما لو كان سندها مُعتبراً ولا غبار عليه ـ توجَّه إِلى دلالتها وأُسقط اعتبارها وحُجِّيَّتها بدم بارد من دون

ومخالفة الواقع ؛ وإِنْ سُمِّيَ عِلْماً ظاهراً.

٢ـ بيان أَمير المؤمنين عليه السلام: «**المُتعبِّد على غير فقه كحمار الطاحونة ؛ يدور ولا يبرح ، وركعتان من عَالِمٍ خير من سبعين ركعة من جاهلٍ ؛ لأَنَّ العَالِمِ تأتيه الفتنة فيخرج منها بعلمه ، وتأتي الجاهل فتنسفه نسفاً ، وقليل العمل مع كثير العلم خير من كثير العمل مع قليل العلم والشَّكِّ والشُّبْهَة**»[1].

ودلالته واضحة أَيضاً ؛ فإِنَّه شامل بإِطلاقه لِـمَنْ يتعبَّد بقضيَّةٍ ونتيجةٍ ويقطع بعلميَّتها ومطابقتها للواقع ، لكنَّه إِذا لم يكن عالماً ، أَو كان عالماً لكنَّه ليس من أَهل الخبرة ، أَو كان من أَهل الخبرة لكنَّه لم يعضدها ببيانات الوحي فهو في عرضة الخطأ ، كحمار الطَّاحونة ؛ فإِنَّه معصوب العينين لا يرىٰ الواقع الخارجي ومَنْ حوله ، ويبقىٰ

← احتياط وتقيَّة وإِحالتها إِلى أَهلها وذلك من خلال التَّأويل والحمل على معانيها المجازيَّة وما شاكلها.

(١) بحار الأَنوار ، ١ : ٢٠٨/ح ١٠.

يدور في دوَّامَة الجهل والْعَمىٰ والظَّلام.

٣ـ بيان الإمام الصَّادق عليه السلام: «**مَنْ دَخَلَ في هذا الدِّين بالرِّجَال أَخرجه منه الرِّجَال كما أَدخلوه فيه ، وَمَنْ دخل فيه بالكتاب والسُّنَّة زالت الجبال قبل أَنْ يزول**»[1].

٤ـ بيانه عليه السلام أَيضاً: «**... أَنَّ هذا القول كان مِنْ قومٍ سَمِعُوا ما لم يعقلوه عن أَهله ، ولم يعطوا فهم ذلك ، ولم يعرفوا حَدّ ما سمعوه ، فوضعوا حدود تلك الأَشياء مقايسة برأيهم ومنتهىٰ عقولهم ، ولم يضعوها على حدود ما أُمروا كذباً وافتراءً على الله ورسوله ، وجرأة على المعاصي ، فكفىٰ بهذا لهم جهلاً ، ولو أَنَّهم وضعوها على حدودها الَّتي حُدَّت لهم وقبلوها لم يكن به بأس...**»[2].

ودلالته ـ كدلالة سابقه ـ قد اتَّضَحَت ، ولا غبار عليها.

وعليه: فكيف يحِقُّ لِـمُؤرِّخٍ: إِدِّعاؤه دعوةً عقائديَّة على فرقةٍ ما

---

(١) بحار الأَنوار ، ٢: ١٠٥/ح٦٧.

(٢) المصدر نفسه ، ٢٤: ٢٨٨ـ٢٩٨/ح١. بصائر الدَّرجات: ١٥٤ ـ ١٥٧.

وليس له باعٌ في علم الكلام ، مع أَنَّ القضيَّة ليست حِسِيَّة ، بل علميَّة، وهي لا تدور مدار صدق اللَّهجة ، وإِنَّما مدار صدق العلم. فلذا ورد: «الصِّدق في العلم والكذب في العلم».

وهذا ليس بحثاً عقائديّاً معرفيّاً فحسب ، بل فقهيٌّ وسياسيٌّ قديم ومعاصر.

والنَّتيجة من كلِّ هذا: أَنَّ العلم يوجب ضبط الحسِّ بدرجاتٍ، وهو[1]: آليَّة كفوءة واسعة ومتنوعة ، لابُدَّ أَنْ يُقام بها موقف مُعيَّن اِتِّجاه مجموعة مُعَيَّنة.

---

(١) مرجع الضَّمير: (العلم).

مجموع العلوم موازين لدراسة بيانات الوحي

ومِنْ كلِّ ما تقدَّم يتَّضح: أَنَّ مجموع العلوم الدِّينيَّة والمعرفيَّة والعقليَّة موازين ، بل ميزان لدراسة وقراءة بيانات الوحي ، ولا يحقُّ التَّفرُّد بتلك البيانات الوحيانيَّة ودراستها وقراءتها على وفق علم فارد.

وعليه: فلا يحقُّ لمخلوقٍ قَطُّ تمحيص بيانات الوحي ؛ كبيانات الروايات والتَّفرُّد بها بعلم الرجال مثلاً ـ فضلاً عن الإقتصار على مدرسةٍ من مدارسه ، أَو مشربٍ أَو اجتهاد من اجتهادات علمائه ـ والضرب صفحاً عن سائر العلوم.

* القرآن الكريم.

١. الاحتجاج ، أَبي منصور أحمد بن عَلِيّ بن أَبي طالب الطبرسي.

٢. الاختصاص ، الشَّيخ محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المفيد.

٣. أُصول الكافي ، الشَّيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.

٤. الأَمالي ، الشَّيخ ، أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

٥. بحار الأَنوار ، الشَّيخ محمَّد باقر المجلسي.

٦. بشارة المُصطفى لشيعة المرتضى ، الشَّيخ عماد الدين أبو جعفر محمَّد بن أبي القاسم الطبري.

٧. بصائر الدَّرجات ، الشَّيخ محمَّد بن الحسن الصفَّار.

٨. تأويل الآيات ، السيِّد علي الحسيني الإسترابادي النجفي.

٩. تحف العقول ، الحسن بن عَلِيّ بن شعبة الحراني.

١٠. تفسير العيَّاشي ، محمد بن مسعود العياشي.

١١. التفسير المنسوب إِلى الإِمام العسكري عليه السلام.

١٢. تفسير فرات الكوفي ، فرات بن إِبراهيم الكوفي.

١٣. تهذيب الأَحكام ، أبي جعفر محمَّد بن الحسن الطوسي.

١٤. التوحيد ، الشَّيخ الصدوق محمَّد بن علي ابن بابويه القمي.

١٥. جامع الأَخبار ، الشيخ الصدوق محمَّد بن علي ابن بابويه القمي.

١٦. الجامع لأَحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

١٧. دلائل الإِمامة ، محمَّد بن جرير بن رستم ، الطبري.

١٨. صحيح البخاري، أَبي عبد الله، محمَّد بن إسماعيل البخاري.

١٩. صحيفة الأَبرار ، الميرزا محمد تقي الممقاني.

٢٠. علل الشرائع، الشيخ الصدوق محمَّد بن علي ابن بابويه القمي.

٢١. عوالم العوالم ، الشيخ عبدالله البحراني.

٢٢. عيون أَخبار الرضا عليه السلام ، الشيخ الصدوق محمَّد بن علي ابن بابويه القمي.

٢٣. غرر الحكم، الشَّيخ عبد الواحد بن محمَّد التميمي الآمدي.

٢٤. الفضائل ، شاذان بن جبرئيل.

٢٥. الكافي ، الشَّيخ محمَّد بن يعقوب الكليني.

٢٦. كنز الفوائد ، الشيخ أبوالفتح محمَّد بن عَلِيّ الكراجكي الطرابلسي.

٢٧. كنزل العمَّال، علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي.

٢٨. المحاسن ، الشَّيخ أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي.

٢٩. المحتضر ، الشَّيخ عزِّ الدِّين أبي محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحليّ العامليّ.

٣٠. المحجَّة البيضاء ، المولى محسن الفيض الكاشاني.

٣١. مختصر البصائر ، الشَّيخ عزِّ الدِّين أبي محمَّد الحسن بن سليمان بن محمَّد الحليّ العامليّ.

٣٢. مشارق أَنوار اليقين ، الحافظ رجب البرسي.

٣٣. مناقب آل أَبي طالب ، الشَّيخ أبي جعفر محمَّد بن عَلِيّ بن شهرآشوب.

٣٤. ميزان الحكمة ، محمَّد الريشهري.

٣٥. نهج البلاغة ، المختار من حِكَم أَمير المؤمنين عليه السلام ، الشريف أَبو الحسن محمَّد بن الحسين الرضيّ.

٣٦. الهداية الكبرى ، الحسين بن حمدان الخصيبي.

٣٧. اليقين في أُمرة أَمير المؤمنين ، رضي الدِّين أَبي القاسم عَلِيّ ابن موسى بن جعفر بن محمَّد بن طاووس.

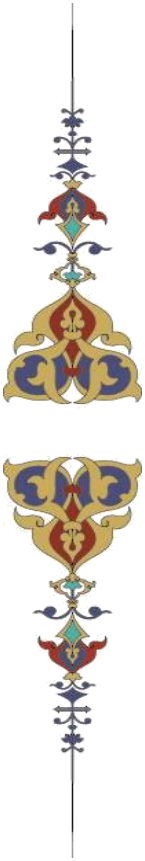

فهرست المحتويات

الْمُقَدَّمَة ٧

خطورة (تأريخ العلم) ١١

مجموع العلوم موازين لدراسة بيانات الوحي ٣٣

المصادر والمراجع ٣٥

فهرست المحتويات ٤١